



إيران وحافة الزاوية لماذا لا يمكن للولايات المتحدة قبول
دولة غير خاضعة في ركن العالم الجيوسياسي؟

بِقَاءٌ

حنين محمد الوحياني

باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية



تأسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية عام 2008 بمدينة بابل (الحلة)، وحصل على شهادة التسجيل من دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة 1Z71874 بتاريخ 25/12/2012، بوصفه مركزاً علمياً يهتم بدراسة الموضوعات السياسية والمجتمعية، فضلاً عن الاهتمام بالقضايا والظواهر الراهنة والمحتملة في الشأن المحلي والإقليمي والدولي، ويعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجها، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

- لا يجوز إعادة نشر أي من هذه الأوراق البحثية إلا بموافقة المركز، وبالإمكان الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً.
- لا تعبّر الآراء الواردة في الورقة البحثية عن الاتجاهات التي يتبعها المركز وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية.

للتواصل

مركز حمورابي

للباحوث والدراسات الاستراتيجية

العراق - بغداد - الكرادة



+964 7810234002



hcrsiraq@yahoo.com



www.hcrsiraq.net



حين نقف أمام مشهد الصراع المستمر بين الولايات المتحدة وإيران، نجد أن كثيراً من التحليلات تتوقف عند النووي أو النظام أو الأيديولوجيا، لكنها تفشل في التقاط العنصر الأكثر رسوحاً واستمرارية (الموقع) فهناك موقع في العالم لا تُقاس بأطوال الحدود ولا بحجم الاقتصاد بل بقدرها على التأثير في حركة البحر ومسار الطاقة واتجاهات النفوذ الدولي. وهي موقع لا تسمح الجغرافيا بتجاهلها ولا تسمح السياسة بتركها خارج حسابات القوى الكبرى.

وفي قلب هذه المواقع تقع الجمهورية الإسلامية الإيرانية دولة تقف عند تقاطع بحري - بري يصنع توازنات الخليج وأسيا الوسطى وبحر العرب في آن واحد. ومع أنّ الولايات المتحدة بنت جزءاً كبيراً من هندستها الأمنية على السيطرة أو التحالف مع "الأركان" الجيوسياسية المشابهة حول العالم، وجدت نفسها أمام ركيز آخر لا يمثل لذات الوظيفة ولا يقبل الاندماج في البنية الأمنية التي أرادتها واشنطن للمنطقة. وهنا يبدأ جوهر المشكلة ويتحول الموقع من مجرد مساحة جغرافية إلى نقطة اختناق استراتيجية لا يمكن تجاوزها. إن ما يجعل إيران لاعباً يصعب احتواوه ليس ما تمتلكه من قدرات بقدر ما يفرضه مكانها من دور. فالدول التي تقع في زوايا العالم الكبرى لا تستطيع أن تكون هامشية حتى لو رغبت بذلك. وهذه الحقيقة " بكل تعقيداتها" تفسر جانباً كبيراً من القلق الأمريكي المستمر وتفتح الباب لفهم العلاقة بين الجغرافيا والهيمنة بعيداً عن التفسيرات التقليدية.

أولاً: أهمية الموقع الركني بالنسبة للولايات المتحدة وحقيقة سياساتها تجاه إيران

في العقيدة الاستراتيجية الأمريكية لا تتعامل واشنطن مع الجغرافيا بوصفها مجرد حدود أو مساحات بل بوصفها أركاناً حاكمة تبني عليها منظومات النفوذ والتحكم. فالموقع التي تشكل زوايا بين البحار والممرات الدولية تعد حجر الأساس في قدرة الولايات المتحدة على ضبط حركة الطاقة والتجارة والأمن البحري. لذلك شكل شرق آسيا عبر اليابان وكوريا الجنوبية ركناً أساسياً لمواجهة الصين، كما مثل شرق المتوسط عبر مصر وتركيا وإسرائيل) ركناً لضبط المجال الروسي، في حين أصبح الخليج ركناً ثالثاً للسيطرة على مصادر الطاقة العالمية. هذه الأركان ليست نقاط انتشار عسكري فحسب بل مفاصل استراتيجية تعطي واشنطن القدرة على التأثير في توازنات بعيدة عن حدودها.

ضمن هذا الإطار يكتسب الموقع الإيراني أهمية استثنائية فإيران تقف عند عقدة جغرافية نادرة تشرف على مضيق هرمز، تحكم بحدود تمتد نحو العراق وأفغانستان وبحر العرب، وتجاور القوقاز وأسيا الوسطى، وتقع على طرق الطاقة التي تصل الشرق بالغرب.

هذه الزاوية ليست مجرد مساحة مهمة بل "موقع ارتكاز" لوضع ترتيبات أمنية واسعة وهو ما كانت واشنطن تدركه منذ عقود، لذلك اعتمدت سابقاً على الجمهورية الإسلامية في إيران الشاه كركن مركزي في استراتيجية الاحتواء ضد الاتحاد السوفييتي.

لكن بعد الثورة الإسلامية، حدث ما لم يكن قابلاً للإستيعاب في الحسابات الأمريكية أهم ركن جيوسياسي في المنطقة خرج من البنية الأمريكية، وتحول من دولة وظيفية إلى دولة مستقلة ومن نقطة ارتكاز إلى نقطة تعطيل. ولذلك اتّخذت واشنطن على مدى أربعة عقود سياسات تجمع بين العقوبات، وحروب الظل، والردع البحري، ومحاولات العزل الدبلوماسي، ليس بسبب النووي وحده بل لأن وجود دولة غير خاضعة في إحدى زوايا العالم يجعل الخريطة الأمريكية غير مكتملة. إن حقيقة السياسة الأمريكية تجاه إيران تقوم على قاعدة بسيطة (الموقع الذي لا تسيطر عليه واشنطن يتحول إلى مصدر تهديد مهما كانت نوافذ الدولة أو قدراتها).

ثانياً: مميزات الموقع الإيراني وكيف استثمرته طهران في تعزيز قوتها الإقليمية
يمتلك الموقع الإيراني مجموعة من الخصائص التي قلما تجتمع في دولة واحدة. فإيران تشرف على أهم ممر نفطي في العالم، وتحتل أطول ساحل على الخليج، وتتركز بين ساحات صراع متداخلة في العراق وأفغانستان والقوقاز. كما أنها تمسك بمفاصل جغرافية تربط (الشرق الأوسط) بآسيا، وتحلّ القبرة على التأثير في خطوط النقل البري التي تصل الصين وروسيا بالمياه الدافئة، ما يمنحها موقعاً نادراً في حسابات كل القوى الكبرى.

إلا أن ما يعطي الموقع الإيراني وزنه الحقيقي هو كيفية إدارته. فلم تتعامل طهران مع جغرaviتها باعتبارها مجرد حدود تحمى عسكرياً بل باعتبارها مصدر قوة يمكن تفعيله. فقد استثمرت خطوطها البرية المفتوحة نحو العراق وسوريا ولبنان في تشكيل عمق استراتيجي يخفف من أي محاولة لمحاصرتها، ووسع حضورها في بحر العرب وخليج عمان لحماية خطوط إمدادها، وعززت قدراتها الصاروخية والبحرية لتأمين المجال المائي المحاط بها، وجعلت من مضيق هرمز أداة ردع تمنع أي تهديد مباشر لأمنها.

كما استفادت الجمهورية الإسلامية في إيران من تحولاتها الإقليمية لتعزيز مكانتها في آسيا فارتبطت بشبكات اقتصادية مع الصين وروسيا، وعمقت علاقاتها مع دول تبحث عن بديل للهيمنة الأمريكية. وبذلك لم تكن قوتها نابعة من القدرات العسكرية فقط بل من طريقة استخدام الجغرافيا نفسها باعتبارها عنصراً يصعب تجاوزه أو تجاهل تأثيره.

تحليلات وآراء

إن استثمار الجمهورية الإسلامية في إيران لموقعها لم يكن دفاعياً فحسب بل كان استثماراً سياسياً واستراتيجياً أعاد تعريف مكانتها الإقليمية، وجعلها لاعباً قادراً على التأثير في توازنات تمتد من شرق المتوسط إلى المحيط الهندي. وهذه القدرة نابعة من إدراك واضح بأن الدول التي تقف في "حافة الزاوية" لا تستطيع أن تكون محايده أو ساكنة بل تصبح بحكم موقعها جزءاً من معادلة القوة ذاتها.

تكشف القراءة العميقه للصراع الأمريكي- الإيراني أن الجغرافيا هي التي تحدد مسار العلاقة إلى حد كبير، لا النووي ولا طبيعة النظام السياسي. فالولايات المتحدة التي بنت هيمنتها على شبكة من "الأركان" الجيوسياسية المتحالفه لا يمكنها بسهولة التعايش مع ركيزٍ يقع خارج منظومتها. وفي المقابل استطاعت الجمهورية الإسلامية في إيران أن تحول هذا الركن إلى مصدر نفوذ وأن تُدير موقعها بما يمنحها قدرة على الضغط والموازنة والصمود، وأن تنتقل من دولة تُحاصر إلى دولة تُغير توازنات الإقليم.

وبين ركيبة الموقع وأهميته لواشنطن من جهة واستثمار الجمهورية الإسلامية في إيران لهذا الموقع من جهة أخرى، يتشكل جوهر الصراع، صراع بين قوة تريد السيطرة على زاوية العالم ودولة قررت أن تكون فاعلاً مستقلاً فيها. وفي ظل التحولات الدولية الراهنة يبدو أن هذا الركن سيظل نقطة اختبار مستمر لعلاقة الجغرافيا بالقوة ولحدود الهيمنة الأمريكية في (الشرق الأوسط).